

الأخلاق في القرآن فروع المسائل الأخلاقية

[47] بَعْدَ ضَرْبِ إِعْمَاسٍ لَهُ لَيْقُورًا ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي
إِنَّمَا لَفَّخْتُ فَخُورًا. نحن نعلم أن القرآن الكريم عندما يتحدث عن الإنسان في
واقعه السيء ويصفه بصفات ذميمة بصورة مطلقة، إنما يقصد الإنسان المنفصل عن الحياة في حركة
الحياة ومن يعيش عدم الإيمان أو ضعف الإيمان، ولهذا ورد في الآية التي جاءت بعد الآيات
مورد بحثنا: (إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ
مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَرِيمٌ). بهذا الاستثناء يتبين أن الأفراد الذين يعيشون حالة
اليأس من رحمة الله والغافلين والكفورين، أفراد لم يصلوا في واقعهم النفسي لمرحلة الإيمان
بعد. وعلى العموم يمكن أن نستنتج من الآيات الآتية الذكر، أن الكفران وعدم الشكر تؤدي
بالإنسان إلى التلوث بصفات سيئة أخرى تحرمه المغفرة والأجر الكبير. تعبير "لئن أذقنا"
تعبير لطيف في الموردين فيقول: إن ضاعف النفوس والإيمان إذا سلبت منهم نعمة من النعم،
فسرعان ما يجري على ألسنتهم الكفر ويدب اليأس في قلوبهم، وإن جاءتهم نعمة إذا بهم
يغترون ويتحركون في أجواء الغفلة والطغيان، والدنيا هي كلها شيء صغير وحقيق، وما يصل
إلى الإنسان منها أصغر وأحقر، ومع ذلك فإنهم يتأثرون بسرعة لضعف نفوسهم وضيق آفاق
إيمانهم. ولكن الإيمان بالله تعالى ومعرفة ذاته المقدسة اللامتناهية في القدرة والعلم،
تمنح الإنسان عناصر القوة والحركة وتعينه على مواجهة أكبر الحوادث السيئة والحسنة دون
أن تؤثر في نفسه شيئاً. وتنطلق "الآية الخامسة" لتشير إلى الأفراد الذين يتوجهون إلى
الله تعالى عند وقوع المصيبة ويدعونه ويتوسلون بلطفه بكل وجودهم، وبمجرد انقشاع سحاب
الأزمة ينسون كل شيء ويكفرون مرة أخرى: (وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ
ضَلَّ مَنْ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ إِيسَٰهٖ فَلَمَّآ نَجَّٰكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ
وَكَانَ الْآلِهَٰةُ لَكُمْ شُرَكَآءَ كَفُورًا)